

كلمة دولة الرئيس حسين الحسيني
في ذكرى رحيل الرئيس اللواء فؤاد شهاب

بيروت / قصر الاونيسكو
الثلاثاء في 24 نيسان 2012

أيها الحفل الكريم،

قبل ما يزيد على الأربعين عاماً، أصدر رئيس جمهورية سابق، كان قد امتنع عن تولي رئاسة الجمهورية سنة 1952، عندما كان قائداً للجيش، ثم امتنع عن التجديد أو التمديد لنفسه رئيساً لها سنة 1964، أصدر هذا الرجل، في الخامس من آب سنة 1970، بياناً ختمه في هذه الصورة:

"وعلى ذلك، واستناداً إلى هذه المعطيات، قرّرت أن لا أكون مرشحاً لرئاسة الجمهورية، وفي هذا الوقت الذي أعلن فيه قراري هذا، أتوجّه بالشكر إلى السادة النواب والسياسيين والهيئات والمواطنين الذين أولوني ثقتهم، متمنياً لهم التوفيق في خدمة لبنان".

أيها السيدات والسادة،

لست ممّن يُجيد مديح الأشخاص.
وقد ثبت عندي في التجارب، في مواقع متباينة، صحّة تحريم هذا المديح، لأنّه قد يحمل في طيّاته النفاق من جهة، وقد تكون النية منه وضع اليد على شخص الممدوح من جهة ثانية.

لقد عرفت فؤاد شهاب شخصياً في المودّة وفي الاحترام،
كما عرفته سياسياً في الاختلاف في الوسائل، وفي الاتفاق على الأهداف.
ولا أجد في ذكرى هذا الرجل، من الناحية الشخصية، أفضل من هذه
الأبيات لشاعر عربيّ،

يُقال إنّه مسيحيّ، ويُقال إنّه يهوديّ، ويُقال إنّه كان على ديانة العرب قبل

الإسلام،

ولا خلاف في أنّه عربيّ في كلّ الأحوال:

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه
فكلّ رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس إلى حسن الثناء سبيلُ
تعيّرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها إنّ الكرام قليلُ
ولا زيادة لمستزيد.
أيها الحفل الكريم،

في ذكرى فؤاد شهاب اليوم، ما خلاصة القول في ما هي عليه أوضاع
اللبنانيين سنة 2012؟

"إنّ المؤسّسات السياسيّة اللبنانيّة والأصول التقليديّة المتبّعة في العمل
السياسيّ، لم تعد، في اعتقادي، تشكّل أداة صالحة للنهوض ببلبان [..] في جميع
الميادين، وذلك أنّ مؤسّساتنا التي تجاوزتها الأنظمة الحديثة في كثير من النواحي
سعيّاً وراء فعاليّة الحكم، وقوانيننا الانتخابيّة التي فرضتها أحداث عابرة ومؤقتة،
ونظامنا الاقتصاديّ الذي يسهّل سوء تطبيقه قيام الاحتكارات، كلّ ذلك لا يُفسح في
المجال للقيام بعمل جدّيّ على الصعيد الوطنيّ، إنّ الغاية من هذا العمل الجدّيّ هي
الوصول إلى تركيز ديمقراطيّة برلمانيّة أصيلة صحيحة ومستقرّة، وإلى إلغاء
الاحتكارات ليتوقّر العيش الكريم والحياة الفضلى للبنانيين في إطار نظام اقتصاديّ
حرّ سليم، يُتيح سُبُل العمل وتكافؤ الفرص للمواطنين، بحيث تتأمّن للجميع الإفادة
من عطاءات الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعيّة الحقّ. إنّ الاتّصالات العديدة التي
أجريتها والدراسات التي قمت بها عزّزت قناعتني بأنّ البلاد ليست مهيةً بعد، ولا
معدّة لتقبّل تحولات لا يمكنني تصوّر اعتمادها إلا في إطار احترام الشرعيّة
والحريّات الأساسيّة التي طالما تمسّكت بها".

أربع نقاط:

الأولى هي أنّ هذا الكلام ليس من كلامي، بل هو من كلام فؤاد شهاب. وهو كلامٌ أتّبناه.

الثانية وهي أنّه ليس في وصف أوضاع اللبنانيين في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، بل هو في وصف أوضاع اللبنانيين في مستهلّ العقد السابع من القرن العشرين. وهو وصفٌ أتّبناه.

الثالثة هي أنّ التحوّلات المطلوبة لا يمكن اعتمادها إلا في إطار احترام الشرعيّة والحريّات الأساسيّة. وهذا ما أوافق فيه في الأمس البعيد وفي الأمس القريب واليوم وفي الغدّ.

الرابعة وهي أنّ ما تقدّم كان أسباب فؤاد شهاب للامتناع عن الترشّح لرئاسة الدولة، لأنّ قناعته أنّ البلاد ليست مهياًة بعد ولا معدّة لتقبّل تحولات لا يمكنه تصوّر اعتمادها إلا في إطار الشرعيّة والحريّات الأساسيّة. هل هذا هو الوضع اليوم في لبنان؟ وهل يملك اللبنانيون ترف الانتظار؟
إجابتي عن هذا السؤال إنّما تقع في دائرة ما سمّيته الاتفاق على الأهداف والاختلاف في الوسائل.

والواقع أنّنا اليوم يفصلنا عن فؤاد شهاب وعمّا كان عليه الوضع الواقعي والدستوري الكثير.

الكثير ممّا هو بالغ السوء والكثير ممّا فيه الأمل.

الدستور اللبناني اليوم، أي إطار الشرعيّة والحريّات الأساسيّة، إنّما يضمّ نصّاً في مقدّمته، يجعل من الشرعيّة ومن الحريّات الأساسيّة نزع الشرعيّة عن أيّ سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك.

فمن الألف إلى الياء:

"لا شرعيّة لأيّ سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك".

أيّها الحفل الكريم، أيّها اللبنانيون،

لستُ إلا مواطناً عادياً. ولستُ مسؤولاً إلا مسؤولية المواطن العاديّ.
لقد عملتُ وأخطأتُ.

وجهلتُ وعرفت.
أقولُ لكم لا إصلاح إلا بثورةٍ مدنيّة.

لا إصلاح، بل لا خلاص إلا بأن تقرّروا مصيركم:
بانتخاب جمعيّة تأسيسيّة تمثل جميع اللبنانيين، بميثاق حضاريّ ودستور
دولة مدنيّة.

جمعيّة تأسيسيّة تمثل جميع اللبنانيين لا الأغنياء وحسب، الأغنياء بمال
الدول الأجنبيّة وبالمال العام المنهوب.

جمعيّة تأسيسيّة تكونون فيها شعباً، لا أقولُ واحداً، فليس لكم إلا ذلك، أو
تكونوا أيتام الدول.

أيّها اللبنانيون، أيّها الشباب اللبناني،

أرفضوا ما يُعدّ لكم من قانون انتخاب يمنعكم من أن تكونوا مواطنين
أصحاب السلطة، أو ممّا يُعدّ لكم عبر المناورات للإبقاء على هذا القانون، الذي
رأيتم نتائجه وترون نتائجه كلّ يوم.

أيّها الحفل الكريم،

لقد شرفني الحديث إليكم في ذكرى فؤاد شهاب. ولم أجد، وفاءً لتجربته
في بناء الدولة، سوى الدعوة إلى ثورةٍ يكون فيها اللبنانيون من كرام الناس.

حسين الحسيني

الأونيسكو 2012/4/24